

نظم قصيدة في الموضوع . وكانت أعماقي تحتج وترفض وتمرد . . . كيف يريدون مني كتابة الشعر السياسي وأنا سجين الجدران ؟ من أين أستمد مادة الشعر ؟ أمن مطالعة الصحف ؟ . . . ان المطالعة — على أهميتها — غير كافية لانبعث جذوة الشعر ، والشاعر لا يستطيع ان يكتب عن الحياة والعالم من حوله قبل ان يعرفها معرفة مباشرة . انني حبيسة الجدران والتقاليد ، لا احضر مجالس الرجال ولا اسمع المناقشات الجادة ولا اشارك في معمعة الحياة . فكيف يطالبني ابي بالكتابة في موضوع لا تفقهه سني ولا له أية علاقة أو صلة بالحركة النفسية في داخلي . كان تيار الحياة النفسية عندي مغايرا ومختلفا اختلافا تاما عن التيار الذي اراد ابي ان يحملني على الانسياق معه . واصبت بمرض بغض السياسة . واصاب العطب حسي السياسي لسنوات طويلة » .

وكما اصيبت الشاعرة بمرض بغض السياسة بسبب عامل تربوي محض ، كذلك كان الامر وراء اصابتها بمرض الحزن .

تواصل فدوى حديثها ، وحديثها هنا له مغزى هام : « توفي والدي اثناء حرب فلسطين عام ١٩٤٨ . وحصلت المأساة . ورحت اكتب الشعر الوطني تلقائيا ، كانت مادته كلها مستمدة من المأساة . رحمت اكتب هذا اللون من الشعر دون اكراه او الزام . ومع تجرد الاوضاع وتجمد القضية الفلسطينية ، بدأ يتجمد احساسي بهما ، وخرجت الى الحياة اعب منها والمسها بأصابي ، وكتب الشعر عن الحب والحياة حتى فجمعت بموت شقيقي نمر الذي كان حبيبا لي وصديقا ، فتوقفت الا عن الكتابة عن الموت ، واصابني ذهول وهبوط نفسي واعتزلت عن الناس ، وكرهت الحياة » .

اذن ، لم تكن الشاعرة فدوى طوقان الا ردود فعل عفوية للواقع الخارجي بحدوده الضيقة . ولقد تشكلت بحكم ردود الفعل هذه تجربة شعرية عفوية ايضا ، وموقف من العالم عفوي . وليس من الصعوبة ان يتكشف القارئ مدى المغالطة ، والارتباك الفكري ، في حديث فدوى هذا . فهي تفصل ، بعفوية امرأة غير مسؤولة ، ولكن مطالبة ، الوطن عن الشعر الوطني ، والوطن عن السياسة ، والسياسة عن الموقف الانساني من العالم والانسان . وهي تقول في يومية أخرى ببساطة : « حين أصغى الى ميروز في فلسطينياتها ارى بلادي اجمل وأحلى مما هي ، واحبها اكثر مما كنت احبها ، واحس بفجاعة فقدتها كما لم احس من قبل ، واتذوق طعم الانتماء الى شيء ولو كان هذا الشيء ناقصا » . تتحدث كذلك ، كمن يحمد الله على وجود ميروز .

انها باختصار كما جاء في آخر يومياتها : « انا نفسي قصيدة ملتاعة ، كئيبة ، آملة ، تتطلع الى ما وراء الافق » ، وهذا التطلع قد رافق ، تماما ، الشاعرة منذ قصيدتها الاولى ، ومجموعتها الاولى ، حتى الان . الا اذا استثنينا بعض القصائد القليلة الاخيرة في « الليل والفرسان » ، استطاعت فيها فدوى بحدود ضيقة ان تخرج من ثوبها القديم .

( ٣ )

« ما يلفت النظر في محمود درويش بالاضافة الى موهبته الطاغية والتزامه الذي رد الاعتبار لقيمة الالتزام كقيمة تغني العمل الفني ولا تفسده ، سرعة تطوره التي تشبه ضربة عصا سحرية ، ندر ان حدث مثلها لدى اي شاعر معروف » (٢) . لا تبدو هذه الكلمة التي كتبها غسان كنفاني في بداية حديثه عن الشاعر محمود درويش ، متطرفة ، اذا ما قيس بتطور الشاعرة فدوى طوقان . فهي منذ بداية الخمسينات ، وعبر خمس مجموعات شعرية كبيرة ، لم تستطع ان تحدث ما احده غيرا من الشعراء ، من جيلها

٣ — مجلة الآداب ، العدد الثالث ، آذار ١٩٦٩ ، السنة السابعة عشرة : فسان كنفاني « محمود درويش فزتتان في عشر سنوات » .